هذا على طريقة قولهم لا تاكل السمك وتشرب اللبن منتظرا فراغه فان ذلك اى تاخير العمل وانتظار
الفراغ من تسويل الشيطان اى تزيينه قال فى مختار الصحاح سولت له نفسه امرا زينته قال
فى الاحياء وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الشيطان ربما يسبقكم بالعلم قيل يا رسول الله
وكيف ذلك قال يقول اطلب العلم ولا تعمل حتى تعلم فلا يزال فى العلم قايلا وللعمل مسوفا حتى يموت
وما عمل انتهى وخدع بكسر الخاء وفتحها وسكون الدال اى من ستر النفس وتلبيسها فى الجوهرى
خدعه يخدعه خدعا وخدعا اى بالكسر مثل سحره سحرا اختله واراد به المكروه من حيث لا يعلم
فمن قصر على الكسر فقد قصر وقيل بضم الخاء وفتح الدال جمع خدع كجمل وجملة لكن المناسب للمقام
هو ما ذكر اولا فان الاجل ربما اى كثيرا يخترمه اى يقطعه ويتطرق اليه قبل القيام
بحق العلم فيصير اى يرجع الى النار كاينا فى غمار الخاسرين فى الديوان دخلت فى غمار الناس بضم
الغين اى فى جماعتهم وكسرتهم وفى الجوهرى الغمرة الزحمة من الناس والماء والجمع غمار ودخلت
فى غمار الناس بضم وبفتح اى فى زحمتهم وكثرتهم المفرطين بتشديد الراء اى الذين داوموا
على التفريط والتقصير فى عبادة الله تع وبتخفيفه اى الذين داوموا على الافراط والتجاوز عن
الحد فى انهماك الشهوات قال الامام فى الاحياء اعلم ان طول الامل له سببان احدهما الجهل والاخر
حب الدنيا اما حب الدنيا فهو انه اذا انس بها وبشهواتها ولذاتها وعلايقها ثقل على قلبه مفا
رقتها وامتنع قلبه من التفكر فى الموت هو سبب مفارقتها وكل من كره شيئا دفعه عن نفسه
والانسان مشغوف بالامانى الباطلة فتمنى نفسه ابدا بما يوافق مراده وانما يوافق مراده
البقاء فى الدنيا فلا يزال يتوهمه ويقدره فى نفسه ويقدر توابع البقاء وما يحتاج اليه من مال
واهل ودار واصدقاء ودواب وساير اسباب الدنيا فيصير قلبه عاكفا على هذا الفكر موقوفا
عليه فيلهو به ذكر الموت ولا يقدر قربه فان خطر له فى الاحوال امر الموت والحاجة الى الاستعداد
له سوف ووعد نفسه وقال الامام بين يديك فالى ان تكبر ثم تتوب فاذا كبر فيقول الى ان
تصير شيخا فاذا صار شيخا فالى ان تفرغ من بناء هذه الدار وعمارة هذه الضيعة او ترجع
من هذا السفر او تفرغ من تدبير هذا الولد وجهازه وتدبير مسكن له او تفرغ من قهر هذا
العدو الذى يشمت بك فلا يزال يسوف ويؤخر ولا يخوض فى شغل الا ويتعلق باتمام ذلك
الشغل عشرة اشغال اخر وهكذا على التدريج يؤخر يوما بعد يوم ويفضى به شغل الى شغل
بل اشغال الى ان تختطفه المنية فى وقت لا يحتسبه فتطول عند ذلك حسرته واكثر اهل النار

سبب طول الامل

اهل النار صياحهم من سوف يقولون واحزناه من سوف والمسوف المسكين لا يدرى ان الذى
يدعوه الى التسويف اليوم هو معه غدا وانما يزداد بطول المدة قوة ورسوخا ويظن انه يتصور
ان يكون للخايض فى الدنيا والحافظ لها فراغ قط وهيهات ما فرغ منها الا من اطرحها ✤ فما قضى
احد منها لبانته ✤ وما انتهى ارب الا الى ارب ✤ واصل هذه الامانى كلها حب الدنيا والانس بها
والغفلة عن معنى قوله صلى الله عليه وسلم احبب ما احببت فانك مفارقه واما الجهل فلان
الانسان قد يعول على شبابه فيستبعد قرب الموت مع الشباب وليس يتفكر المسكين ان مشايخ
بلده لو عدوا لكانوا اقل من عشر رجال البلد وانما قلوا لان الموت فى الشباب اكثر فالى ان يموت
شيخ يموت الف صبى وشاب وقد يستبعد الموت لصحته ولا يدرى ان ذلك غير بعيد
فان كان ذلك بعيدا فالمرض فجاة غير بعيد وكل مرض فانما يقع فجاة واذا مرض لم يكن الموت
بعيدا ولو تفكر هذا الغافل وعلم ان الموت ليس له وقت مخصوص من شباب وشيب وكهولة
ومن صيف وشتاء وخريف وربيع ومن ليل ونهار لعظم استشعاره واشتغل بالاستعداد له
ولكن الجهل بهذه الامور وحب الدنيا دعواه الى طول الامل والى الغفلة عن تقدير الموت
فهو ابدا يظن ان الموت يكون بين يديه ولا يقدر نزوله به ووقوعه فيه وهو ابدا يظن
انه يشيع الجنايز ولا يقدر ان يشيع جنازته لان هذا قد تكرر عليه والفه وهو مشاهد
موت غيره اما موت نفسه فلم يالفه ولا يتصور ان يالفه فانه لم يقع واذا وقع لم يقع دفعة
اخرى بعده فهو الاول وهو الاخر وسبيله ان يقيس نفسه بغيره ويعلم انه لا بد وان تحمل جنازته
ويدفن فى قبره ولعل اللبن الذى يغطى به لحده قد ضرب وفرغ منه وهو لا يدرى فتسويفه
جهل محض واذا عرفت ان سببه الجهل وحب الدنيا فعلاجه دفع سببه اما الجهل فيدفع بالذكر
الصافى من القلب الحاضر وسماع الحكمة البالغة من القلوب الطاهرة واما حب الدنيا فالعلاج
فى اخراجه من القلب شديد وهو الداء العضال الذى اعيى الاولين والاخرين علاجه ولا علاج له
الا الايمان باليوم الاخر وبما فيه من عظيم العقاب وجزيل الثواب ومهما حصل له اليقين
بذلك ارتحل عن قلبه حب الدنيا الى هنا كلام الاحياء عمر بگذشت تم بگناهست هنوز
شد مُوی سپید دل سیاهست هنوز ✤ هرگاه کر توبه براغاز کنم ✤ دل کفت وقت درا
زست هنوز ✤ ولا يتبع غرايب العلم قبل احكام اصل العلم وهو معرفة الله تع والاستعداد
للموت قوله قبل نزوله ظرف الاستعداد اى راس العلم معرفة الموت ايضا بان يستعد

Copyright © King Saud University